

الشيخ آدم الإلوري ونشر ثقافة التفاهم بين الدعاة: دراسة تحليلية لنص مقتطف من كتابه "توجيه الدعوة والدعاة".

د. تاج الدين يوسف

مقدمة

امتاز الشيخ آدم عبدالله الإلوري بين العلماء في نيجيريا وغرب أفريقيا بسعة اطلاعه على ما كتبه الأقدمون والمحدثون وقدرته على استعراض الآراء ونقدها، ودقة الملاحظة مع حرية في التفكير وإنصاف أصحاب الآراء المخالفة لرأيه. وقد كان لخبرته في الحياة الاجتماعية والفكرية والدينية، إلى جانب أسفاره الكثيرة في شمالي إفريقية وغربيها إلى مصر والحجاز والشام، أثر بالغ في موضوعية وعلمية كتاباته وملاحظاته في شتى القضايا والموضوعات، وخاصة الدينية منها والاجتماعية، التي عالجها المرحوم الإلوري في مؤلفاته، وخاصة مما له العلاقة بالسلم والتفاعل الإيجابي وإرساء الوحدة بين المسلمين في الديار النيجيرية خصوصاً، وفي أنحاء العالم عموماً. وهذه الدراسة التحليلية، محاولة لإبراز إسهامات الشيخ آدم الإلوري في نشر ثقافة التفاهم والسلم بين الدعاة والعلماء من خلال توجيهاته المتعلقة بالمبادئ اللغوية وغير اللغوية التي ينبغي أن تقوم عليها عملية الدعوة إلى الله، والأخلاقيات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة، وذلك من خلال نصوص مختارة من كتابه الموسوم بـ (توجيه الدعوة والدعاة). ويكتفي الباحث بتحليل بعض المحاور والنقاط الأساسية في النص المختار للدراسة.

نبذة عن شخصية الشيخ الإلوري

هو الشيخ آدم عبدالله الإلوري، مؤسس مركز التعليم العربي الإسلامي، أغيجي، لاغوس، نيجيريا. امتاز الشيخ الإلوري بين العلماء المعاصرين بغزارة ثقافته وسعة الاطلاع على ما كتبه الأقدمون والمحدثون وقدرته على استعراض الآراء ونقدها، ودقة الملاحظة. وقد كان لخبرته في الحياة الاجتماعية والفكرية والدينية، إلى جانب أسفاره الكثيرة في شمالي إفريقيا وغربها إلى مصر والحجاز والشام، أثر بالغ في موضوعية وعلمية كتاباته وملاحظاته.

كان المرحوم الإلوري موسوعي المعارف، ومن أوائل الذين وضعوا التعليم العربي والإسلامي على أسسه الحديثة في ديار نيجيريا. ويذكر له كتب مختلفة ومتعددة في فنون المعارف، من أهمها الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، ونظام التعليم العربي وتاريخه، ومؤجز تاريخ نيجيريا، والإسلام والتقاليد الجاهلية، وتاريخ الدعوة الإسلامية، وتوجيه الدعوة والدعاة، وعلى هذا الأخير تقع هذه الدراسة، وقد استهلّ الإلوري هذا الكتاب بإرشاد وجهه سماه "توجيه الدعوة والدعاة"، وهو النص الذي يتبناه هذا المقال.

كتاب "توجيه الدعوة والدعاة" للإلوري

تناول الشيخ آدم الإلوري في هذا الكتاب حقائق دعوية وتوجيهات كثيرة وخاصة مما يتعلق بأسلوب الدعوة والأدبيات التي ينبغي للداعية أن يتصف بها لأجل بثّ التعايش السلمي والتفاعل الإيجابي بين أفراد المجتمع الواحد المتعدد العقائد والمذاهب في الديار النيجيرية خاصة وغرب أفريقيا عامة. ويعتبر كتاب "توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب إفريقيا" من أهم منجزات الفكر الإسلامي التي قدّمها الشيخ الإلوري في حياته يقع الكتاب،

بحجمه الصغير، في ١٤٠ صفحة، قام بنشرها مكتبة النور، لاغوس،
نيجيريا.

النص المختار

قال الشيخ آدم الإلوري:

الدعوة إلى الله سفارة روحية بين عباد الله،
فيجب على السفير أن يكون لبقاً هيناً ليناً
دبلوماسياً لا غليظ القلب شديد اللهجة.....فالدعاة
إلى الله إخوة على اختلاف مشاربهم وبيئاتهم
كالأنبياء أبناء علات، أبوهم واحد وأمهاتهم
شتى، فلا يجوز أن يتنازعوا بينهم ويتخاصموا
فيضرب بعضهم رقاب بعض ما علموا أنهم
جميعاً يدعون إلى الله وحده لا إلى غيره. فيجب
التسامح فيما بينهم ونبذ التخاصم الداخلي
والتفاعل السلبي، بل يتحدوا في صفهم، ويقولون
كلمة الحق التي هي سواء بينهم ليكونوا أشداء
على الكفار رحماء بينهم، وليعلموا أن القوى التي
تتحداهم وتعاديهم عديدة وهي وثنية، وصليبية،
وعلمانية، وقوى مادية^١

تحليل النص

تتجلى مبادئ التفاهم والتواصل البناء والتسامح ودورها في بناء
الوحدة والتضامن بين الدعاة في النص التوجيهي للشيخ الإلوري، إذ إن الأمة
الإسلامية في هذا الوقت الذي تتراكم فيه ألوان الأزمات بحاجة ملحة إلى

التفاعل بالمشاركة بشرط أن يتم هذا التعاون من أجل تحقيق الأهداف الصالحة للفرد والمجتمع، يدعو الشيخ إلى تفاعل بعيد كل البعد عن المشاعر السلبية للفرد والجماعات، تضامن بعيد عن العدائية، والحقد، والثأر، والرغبة في إلغاء الآخرين، ذلك التعاون بالمشاركة المبني على التكافل، والأخوة، والمودة، والرغبة في المساعدة لأجل توحيد صفوف المسلمين، تلك التوجيهات التي ينبغي أن يعتمد عليها أفراد الدعاة في الديار النيجيرية وخارجها في هذا العصر الذي يعيش المسلمون في ألوان من الصراعات والنزاعات في كافة مجالات حياتهم الدينية والاجتماعية. وقد اقترح الشيخ الإلوري بعض الأدبيات التي ينبغي أن يتصف بها الرجل المسلم الداعي إلى الله تعالى، ومن أهم هذه الأدبيات ما يتعلق بالمبدأ الاتصالي (أي لهجة الداعية)، ومنها الإيمان بوحدة الأصول الإنسانية، ومن أهم هذه المبادئ الاعتماد بثقافة التسامح.

لغة الداعية

لا شك في أن جميع العلاقات الإنسانية تحتاج أولاً وأخيراً إلى الاحترام المتبادل، وخاصة من خلال توظيف اللغة في الحوار بغض النظر عن الفروق في الاتجاهات والمعتقدات والطبقات، ولا تستقر العلاقات الإنسانية إلا إذا حافظ الأفراد على الاحترام المتبادل ولغة لينة تراعي كرامات الآخرين، وحرماتهم. أعني المجتمع الإنساني الذي يسوده التفاعل الإيجابي والاحترام، يقول الإلوري في مطلع خطابه: "الدعوة إلى الله سفارة روحية بين عباد الله، فيجب على السفير أن يكون لبقاً هيناً ليناً دبلوماسياً لا غليظ القلب شديد اللهجة".

تبين للشيخ الإلوري أن أغلبية سوء التفاهم الذي يحدث بين الدعاة منبعه الأساسي سوء استعمال الكلمة، كما تبين له أن اللغة بوصفها أداة يعبر بها الإنسان عن أفكاره تؤدي دوراً على درجة كبيرة من الأهمية في عملية

الدعوة إلى الله تعالى، إذ هي التي تهئ المناخ للوحدة وتماسك الصفوف والتفاهم بين أفراد المجتمع. ويؤكد على ذلك أنه من مكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام حفظ اللسان وصيانتها عن الخوض في الباطل والمراء والخصومة والنيل من أعراض الآخرين، والغيبة والنميمة والاستهزاء، ذلك لأن اللسان هو مقياس تقاس به درجة فضل الإنسان، وهو مرآة تتعكس عليها إنسانية الإنسان، فإن الكلمة غالباً تثير غضباً وسخطاً وعدواناً.^٢

وقد ورد في القرآن الكريم توجيهات إلهية حول أهمية مراعاة الكلمة وتبنيها على خطورتها الوخيمة، فقد ندب الله سبحانه وتعالى إلى الرحمة واللينة في القول، وتجنب العنف والشدة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)﴾ (سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥)

ففي هذه الآيات أقرَّ القرآن الكريم المبادئ الأساسية للعلاقات الإنسانية، وأصل أخلاقيات التعامل الكلامي مع الآخرين، ذلك لأن التأدب مع الغير واحترام الآخرين في القول من العوامل المهمة في بناء حياة اجتماعية صالحة، وهو زاد قوي لكل داعٍ إلى الله، لأن العلاقات الإنسانية القويمة المستمرة مبنية على التعاون والتناصر ومراعاة المشاعر والأحاسيس، ذلك لأن اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس في كل وقت، كما أنها تعبر عن المستوى الفكري والعلمي والحضاري للأفراد لأنها أداة التعبير الصادق عن المستوى. وفي الآيات السابقة إشارة إلى أن الوجود الإنساني نفسه مرتبط باللغة ارتباطاً وثيقاً.

ولا شك في أن اللهجة الهادئة تؤدي دوراً بارزاً في حياة الناس، ذلك لأنها هي السبيل إلى فهم الأشياء المحيطة بالناس والتفاهم فيما بينهم، وهي الطريق لارتباط أفراد المجتمع ببعضهم ببعض، وعلى ذلك فإن لغة الاحترام ذات أثر قوي في حياة الناس وخاصة في مجال الدعوة، لأنها السبيل للفهم والإفهام، وهي السلاح الصارم للإقناع وجلب القلوب، والطريق لارتباط الأفراد بعضهم ببعض، والوصل للأفكار المستقرة بالأذهان والهيئة لرفي الأمم في شتى المجالات.^٣

ويؤكد العلماء والباحثون على أهمية الحوار الوجيه بين أفراد الجماعة أو المجتمع الواحد ليتم الوصول إلى رأي عام يعكس رغبات الجماهير ومصالحهم المشتركة، وخاصة مما يتعلق بالتعبير عن موضوع جدلي يثير اهتمام أفراد هذه الجماعة.^٤ ولا يتم الحوار المشترك بين أعضاء الجماعة إذا لم توجد أداة ميسرة يمكن من خلالها الوصول إلى الاتفاق حول قبول أو رفض الموضوع المطروح للنقاش، وليس هناك بديل للغة اللينة التي يمكن من خلالها التعبير عن اتجاهات أعضاء الجماعة حول موضوع ما.^٥

إن الداعي الحكيم يضع نفسه مكان الآخرين، يسمعهم من الكلام ما يحب أن يسمع، ويعرف نمط الإنسان الذي يتعامل معه، ثم يحاول الدخول له من خلال النمط المناسب له، ويحافظ على مشاعر الآخرين، ويختار كلماته بكل ما بوسعه من العناية، والداعية الناضج يكون بسيطاً وغير متكلف في تعامله مع الآخرين، ومتواضعاً، ليعلو شأنه، والداعية الحق يعترف بخطئه، ويعتذر إذا لزم الأمر الاعتذار، ويجتنب جرح الغير بلسانه ويبتعد عن التكفير.

أدرك الشيخ الإلوري أن العلاقات الإنسانية بما فيها التفاعل الديني مفهوم أساسي واستراتيجي في حياة أفراد المجتمع الإنساني، بل إنها وحدة شخصيات متفاعلة، والإنسان مدنيٌّ بالطبع، لا يمكنه الانزواء عن المجتمع الذي يعيش فيه، وهو محتاج إلى التجمع البشري يتفاعلون فيما بينهم، ويجنح كل منهم إلى تكوين العلاقات مع بني جنسه ليتم له السعادة الإنسانية، فكل إنسان، بالطبع والضرورة، يحتاج إلى غيره، فهو لذلك مضطر إلى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة والتفاعل معهم التفاعل الودي الصادق لأنهم يكملون ذاته ويتممون إنسانيته، وهو أيضاً يفعل بهم مثل ذلك، ولولا التجمع الإنساني ومدنيته وتفاعل بعضهم مع بعض ما استطاع الإنسان أن يعيش آمناً على نفسه^٦ وفي ذلك يقول الإلوري: "الدعاة إلى الله إخوة على اختلاف مشاربهم وبيئاتهم كالأنبياء أبناء علات، أبوهم واحد وأمهاتهم شتى، فلا يجوز أن يتنازعا بينهم ويتخاصموا فيضرب بعضهم رقاب بعض ما علموا أنهم جميعاً يدعون إلى الله وحده لا إلى غيره".

ومن الأمور التي لا جدال فيها أن الإسلام قد أقرّ بوحدة أصول الإنسانية وإن تفرقت الأهواء فالأصل واحد، وإن اختلف الناس شعوباً وقبائل لم يكن الهدف منه الاقتتال والاختلاف، ولكن لأجل التعارف والتعاون والتعايش، والإسلام يحارب العنصرية والقبلية، وقد نصت آية صريحة في القرآن على هذه الحقيقة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣). ولا شك في أن التعارف في العرف الاجتماعي يتطلب المعاملات الطيبة التي تقوم على الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية السوية والتي تتركز على التعبير والإقناع. والعلاقات الإنسانية التي نقصدها عبارة عن جملة من التفاعلات بين الناس بما فيها الاحترام والعدل والرفق، لا التكبر والظلم والقسوة وغير ذلك.^٧

ثقافة التسامح

تعد ثقافة التسامح من ضروريات الحياة الإنسانية وخاصة في الواقع المعاصر للقضاء على ظاهرة العنف والصراعات التي أصبحت تهدد قوى العلاقات الإنسانية على كافة الأصعدة، لأجل هيمنة العنف وغياب المثل والقيم الدينية والأخلاقية بين أفراد المجتمع بما فيهم العلماء والدعاة، الأمر الذي يجعل الفرد المعاصر يقف عند العدوان في التعامل مع الآخر الذي قد لا يتفق معه في أفكاره وأيديولوجياته.^٨ ويقرّ الإلوري أن الإسلام دين التسامح ينبذ العنف والكراهية، ويدعو إلى التعاون والسلام والتعامل

بالبر والتقوى حتى مع المخالفين لنا في الدين
والعقيدة، وفي ذلك يقول الإلوري: "فيجب
التسامح فيما بينهم ونبذ التخاصم الداخلي
والتفاعل السلبي".

إن البشرية في نظر الإسلام أسرة إنسانية واحدة، وقد وصف الله
المسلمين بكونهم أمة واحدة تدعو إلى الخير والتسامح والمحبة، إن الإسلام
يبنى العلاقات الإنسانية سواء أكانت بين الأفراد أم بين الجماعات على
التسامح من غير استسلام للشر أو تمكين للأشرار، كما أن الله تعالى قد حث
على ضرورة دفع العداوة بالتي هي أحسن كمبدأ من المبادئ الأساسية
لإرساء ودعم العلاقات الإنسانية: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة فصلت: ١٤)، ذلك لأنه من أسس
العلاقات الإنسانية في الإسلام التمسك بالفضيلة في أية حال.^٩

إن طبيعة الأجواء المحيطة والتوازنات القائمة تفرض على القوى
الوطنية كافة بكل تنوعاتها أن تتجه إلى لغة السلم والديمقراطية والتفاعل فيما
بينها على قاعدة التسامح والتصالح وإلا فليس من نهاية جدية حقيقية تلوح في
الأفق للمجتمع البشري. "جميع حركات العالم العلوي والسفلي (على حد قول
ابن القيم الجوزية) تابعة للإرادة والمحبة، وبها تحرك العالم ولأجلها، فهي
العلة الفاعلة والغائية، بل هي التي بها ولأجلها وجد العالم".

خاتمة

يعد الشيخ آدم الإلوري عالماً موسوعياً بين علماء غرب أفريقيا يتميز بسعة الاطلاع. وقد تناول قضايا متعددة في حياته منها الاجتماعية والفكرية والدينية، فقد عالج، خاصة في مؤلفاته، قضايا تتعلق بالسلم والتفاعل الإيجابي وإرساء الوحدة بين المسلمين في الديار النيجيرية خصوصاً، وفي أنحاء العالم عموماً. وهذه الدراسة حاولت إبراز بعض إسهامات الشيخ آدم الإلوري في نشر ثقافة التفاهم والسلم بين الدعاة والعلماء، وقد اقترح المبادئ اللغوية وغير اللغوية التي ينبغي أن يتبناها الدعاة العاملون بعلمهم بما فيها اعتماد لغة الاحترام وتجنب لغة العنف والتكفير، كما أنه نبّه إلى وحدة الأصول الإنسانية وأهمية التسامح بين المسلمين، بغية إرساء الوحدة والتفاهم المستمر والتفاعل الإيجابي بين المسلمين. ولا شك في أن إساءة استخدام اللهجة، واستمرار مظاهر التمييز الديني والعنصري، واللجوء إلى محاولات فرض الإيديولوجيات بالقوة من أسباب الصراع والعدوان بين العلماء والدعاة. والإسلام دين التسامح ينبذ العنف والكراهية، ويدعو إلى التعاون والسلام والتعامل بالبر والتقوى مع المخالفين لنا في الدين، فالبشرية في نظر الإسلام أسرة إنسانية واحدة.

الهوامش والمراجع

- ١- بكري، عمر، مكارم الأخلاق على طريقة التربية الحديثة الملائمة للمدارس الإسلامية، جكرتا : مونتارا، ١٩٧٧، ص ٤١
- ٢- عبد العزيز، شرف، اللغة العربية والفكر المستقبلي، بيروت: دار الجيل، ص ١٩٩١م ص ٢٥.
- 3 - Macdugal Curtis: Understanding Public Opinion. New York. The Machillan Company. 1952. P. 29.
- 4- Hennessy Bernard: Public Opinion. 3rd ed. California. Wads-Worth Publishing Company. 1970. 24
- ٥- والخطابي، محمد العربي، جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة، إيسيسكو: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٣، ص ٥٤
- ٦- علي، محمود محمد، دور العلاقات الإنسانية في تفعيل العملية التعليمية، ماليزيا: دار التجديد، ٢٠٠٣م، ص ٩-١٠
- ٧- مؤتمر صحفي لفضيلة الإمام العلامة بدار الإفتاء المصرية حول "التفاهم الإنساني من خلال الحوار" بتاريخ ٢٠٠٩/٧/١١
- ٨- عبد العزيز، شرف، اللغة العربية والفكر المستقبلي، بيروت: دار الجيل، ص ١٩٩١م، ٢٢٠.
- ٩- ابن قيم، الجوزية، روضة الحبين ونزهة المشتاقين، تمذيب: سمير حسين حلي، طنطا: دار الصحابة للتراث، ١٩٩٠م، ص ٢١.